

تأملات حول مدى فعالية الإصلاحات التربوية في الجزائر

(من خلال بعض المؤشرات المتصلة بالمخرجات)

Considerations on the Effectiveness of Educational Reforms in Algeria

(Through some Output Indicators)

أ.د. بوسنة محمود

جامعة الجزائر

Abstract:

Algeria has adopted a reform process in most of its establishments, especially the educational system, are important because it is important to ensure the continuity of the society on the one hand and its development and progress on the other hand. Moreover, these reforms must be subject to an evaluation process. Is to assess its outputs, and this is what we will seek by addressing some of the indicators related to the outputs of the educational system in Algeria after the reform

المخلص:

تبنّت الجزائر مسيرة إصلاحات مست غالبية منظماتها وعلى رأسها النظام التربوي لما له من أهمية في ضمان استمرارية المجتمع من جهة وتطوره وتقدمه من جهة ثانية، غير أن هذه الإصلاحات يجب تخضع لعملية تقييم تفس إجراءاتها، ومن أهم معايير الكشف عن نجاعة وفعالية أي منظومة هو تقييم مخرجاتها، وهذا ما سنسعي له من خلال تناول بعض المؤشرات المتصلة بمخرجات النظام التربوي في الجزائر بعد الإصلاح

أهمية الإصلاحات التربوية:

تبرز أهمية الإصلاحات التربوية من خلال كون مجتمع الغد سيكون بدون شك مجتمع المعرفة وبالتالي يجب أن يكون النظام التربوي قادرا وفعالاً في تقديم الخدمات التربوية والتكوينية اللازمة لتفادي ظهور فجوة عميقة بين الذين يعرفون والذين لا يعرفون، بين الذين يتحكمون في اللغات ويستطيعون السباحة في عالم المعرفة والذين لا يتحكمون في اللغات ولا يستطيعون السباحة بحرية في عالم المعرفة.

والتحدي هنا بالنسبة إلى المنظومة التربوية كبير جدا، حيث يفرض عليها أن تكون فعالة وقادرة على تحقيق ما يلي:

أولاً: التخفيف من حدة الفوارق ليس فقط بين أفراد المجتمع فيما يخص التحكم في المعارف العلمية والقدرة على الوصول إليها؛ وإنما أيضا بين مجتمعاتنا التي مازالت في طريق النمو والمجتمعات المتقدمة. ولهذا فإن المنظومة التربوية مطالبة بخلق الشروط اللازمة لتجاوز صدمة الثورة العلمية والتكنولوجية المذهلة في ميدان المعلومات والاتصالات والأتمتة، والتي

أعمال الملتقى الثالث حول: الرهانات الأساسية لتفعيل الإصلاح التربوي في الجزائر
أدت إلى توليد الشعور بالنقص وعدم الاطمئنان عند الأفراد والمجتمعات التي لا تتحكم في
هذا التقدم المعرفي والعلمي والتقني الهائل.

ثانيا: خلق مناخ اجتماعي مناسب لغرس القيم التي تشجع على التطبيقات العلمية وعلى تعميم
المعارف وتحسين مكانة العلوم في جميع مستويات التعليم والتكوين، وهذا من أجل تمكين قيم
التجديد من الانتشار وتوطين العلوم التكنولوجية وتقوية الطاقة الذاتية للمجتمع في هذا الترى
هل الإصلاحات التربوية المختلفة التي تعرضت لها المنظومة التربوية نجحت في الاستجابة
لمثل هذه التحديات؟

2- التطور الكمي للمنظومة التربوية

عرفت المنظومة التربوية في الجزائر تطورا معتبرا منذ الاستقلال فيما يخص الكم، حيث أنه
خلال أربعة عقود، أي حتى سنة 2000 (تاريخ بداية التفكير العملي في إصلاح المنظومة
التربوية، مرة أخرى) نجد ما يلي :

عدد المتعلمين تضاعف 5 مرات في التعليم الأساسي و 99 مرة في التعليم الثانوي و 54 مرة
في التكوين المهني و 170 مرة في التعليم العالي؛ وفي نفس الاتجاه نجد عدد المكونين
هو الآخر ارتفع بشكل كبير حيث تضاعف مجموع عدد معلمي التعليم الابتدائي والمتوسط
والثانوي مثلا بأكثر من 30 مرة .

إن تحقيق هذا التطور في تعداد المتعلمين والمعلمين تطلب مجهودات كبيرة ومتواصلة حيث
عملت الدولة على:

أولا- المحافظة على وتيرة توسيع الهياكل القاعدية من حيث قدرات الاستقبال والعمل على
تجهيزها وتزويدها بالمرافق والخدمات التربوية المدعمة لها.

ثانيا- تخصيص إمكانيات مالية معتبرة (11% من الناتج الوطني الخام في السبعينات و 6%
إلى 8% في التسعينات) من أجل تغطية التكاليف اللازمة لمثل هذه الاستثمارات في تنمية
الثروة البشرية .

يبدو أن هذه المجهودات المبذولة من طرف المجتمع لم تؤدي إلى تحقيق الأهداف التي كان
يطمح إليها. حيث نجد هناك العديد من المؤشرات التي تدل على أن المردودية منخفضة
(مثلا نسبة النجاح في الامتحانات الوطنية منخفضة، نسبة التكرار والتسرب والتخلي عن
الدراسة مرتفعة ...) مع تدني في نوعية التكوين، فاستدعى هذا الأمر مرة أخرى التفكير
والعمل على إجراء إصلاحات عميقة للمنظومة التربوية شرع فيها منذ بداية الألفية الحالية .

3- الإصلاحات التي عرفها النظام التربوي في الجزائر منذ الاستقلال ومدى فعاليتها

ملاحظات	هدف من الإصلاح	ظروية الإصلاح	فترة الزمنية
<p>- بحث الروح الوطنية والتكامل معالة الدولة الجزائرية. (10 سنوات)</p>	<p>- إرسات تعديلات جزئية في برامج التعليم الابتدائي والثانوي. هدف تكميلا خاصة تلك التي لها علاقة بالمشعبية الوطنية مثل مواد كل من التاريخ، التربية المدنية، الجغرافيا... - أهم تغيير عرفه التعليم الثانوي في هذه المرحلة هو إرسات التعليمية التي في سنة 1968.</p>	<p>- تشريع تربوي جزئي مثل بعض الجوانب السياسية والتنظيمية لهما بعض التهم الأجنبي والمؤسفة والثوري.</p>	1976-1962
<p>- إصلاح التعليم الابتدائي والثانوي وذلك بإضافة تلك التعليم بأساسي (20 سنة)</p> <p>- نشر لدراسة قياسية للتعليم الثانوي في 1976 (أربع سنوات)</p>	<p>- إرسات المرحلة (الجزائرية) في إطار سجال اعتمادها وتلقي وتدريس المرحلة ما بعد الإرسات الأولية 76. تنوع إلى خلال لمرحل الابتدائي...)</p>	<p>- بداية التفكير في إصلاح لجان للتفكير التربوية - صدور المبرمج 1976 / 35 حول تنظيم التربية والتكوين في الجزائر - مرحلة لتجريب تنظيم التعليم الأساسي في عهد من الدراسات - إرسات لدراسة التربية والتعليم الأساسي - تعميم السنة الأولى من التعليم الأساسي على المستوى لدرسي - تعميم لسنوات الأخرى من التعليم الأساسي (من السنة الثالثة إلى السنة لثامنة)</p>	1970 1976 1980-1976 1981-1980 1989-1981
<p>- إرسات تنظيم التعليم الثانوي (أكثر من 10 سنوات)</p>	<p>- تنفيذ خطة حسب التعليم الثانوي بأخر منك لتعميم (5 سنوات) وذلك بهدف توعية التعليم لدرسي.</p>	<p>- إرسات كتابة لدراسة تنظيم الثانوي وتلقي في 1980 وتلقي لرئيس مكتب تنظيم الثانوي والتعليم في 1984.</p>	1986-1980

ملاحظات	هدف من الإصلاح	تغييرات الإصلاح	الفترة الزمنية
حل المجلس في سنة 1999	<ul style="list-style-type: none"> - تعليم عدد الشعب إلى 13 شعب. - لشخص وتقييم مرفوضي لتفوزة روضع منتج إصلاح - لتغيير ثقافة لمرحلة في كل السنة (1986-1983) 	<ul style="list-style-type: none"> - تعبئة هيكلة لتعليم للتربوي - إنشاء المجلس الأعلى للتربية 	1992 1996
<ul style="list-style-type: none"> - الترويج في اليوم - بوضوح - لتعريف مراحل لتعليم (10 سنوات) 	<ul style="list-style-type: none"> - لتعليم يتوزع حول 'إصلاحات' بضرورة 'تنموية' لتربية - لتعليم هيكلة جديدة لتعريف مراحل لتعليم - لتعمد برنامج تعليمية جديدة متكيفة مع لتعليم الحديث. - لتعلمين لعب للتربوي إلى (6) سنة لعب. 	<ul style="list-style-type: none"> - إنشاء لجنة لوضع الإصلاحات للتربية - لتعريب لجنة لوضع 'تصاوغ' (2002) - بداية لتطبيق الإصلاحات لهذا بعض لتعليم الأخرى التي ولتوسط (03-2004) - بقاء لفرصة لوتربي لتربية والتكوين (2003) - بداية لتطبيق الإصلاحات في للتربوي (05-2006) - لتصدر لتقنين لتوجيهي لتربية 	2000 2005-2002
	<ul style="list-style-type: none"> - لتعريف 'أهمية' 1976/35 وتثبيت الإصلاحات الجديدة. - لتغير جزء من الإصلاحات وتكيف إلى وضع مستوى لتخرج في مراحل لتعليم المتقدمة. 	<ul style="list-style-type: none"> - لتبني لتعليم لتربية لتخصصية 	2008 2009-2008

— أ.د. بوسنة محمد: تأملات حول مدى فعالية الإصلاحات التربوية في الجزائر

1.3. المنهجية المعتمدة في تحضير وتطبيق مختلف الإصلاحات التي عرفها النظام التربوي في الجزائر: أولا - الإجراءات:

إن الإجراءات العملية التي اعتمد عليها في مختلف الإصلاحات التي عرفها النظام التربوي في الجزائر يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- إسناد مهمة إعداد مشروع الإصلاح إلى مجموعة تفكير وعمل تعيّن لهذا الغرض. تعمل هذه المجموعة في إطار توصيات سياسية من طرف السلطات العليا، حيث تحدد المعالم التي يجب احترامها وعدم الحياد عنها. ويراعى في اختيار أفراد هذه المجموعة بعض التوازنات السياسية والحزبية.

2- القيام في أغلب الأحيان بعد إعداد المشروع من طرف هذه المجموعة، بإجراء بعض المناقشات العلنية والتي يغلب فيها التجاذبات ذات الخلفية السياسية أكثر من التجاذبات ذات الخلفية البيداغوجية.

3- الشروع في إعداد العدة التشريعية المناسبة، وضبط رزمنة زمنية فيما يخص عملية التطبيق وهذا بعد إعلام منظم وبعض المناقشات المحدودة حول مشروع الإصلاح.

إن حدوديات هذا الأسلوب في القيام بإصلاحات تربوية جعل المشرفين على المنظومة التربوية في تفكير مستمر في الإصلاح وإصلاح الإصلاح مثل ما هو موضح في الجدول السابق.

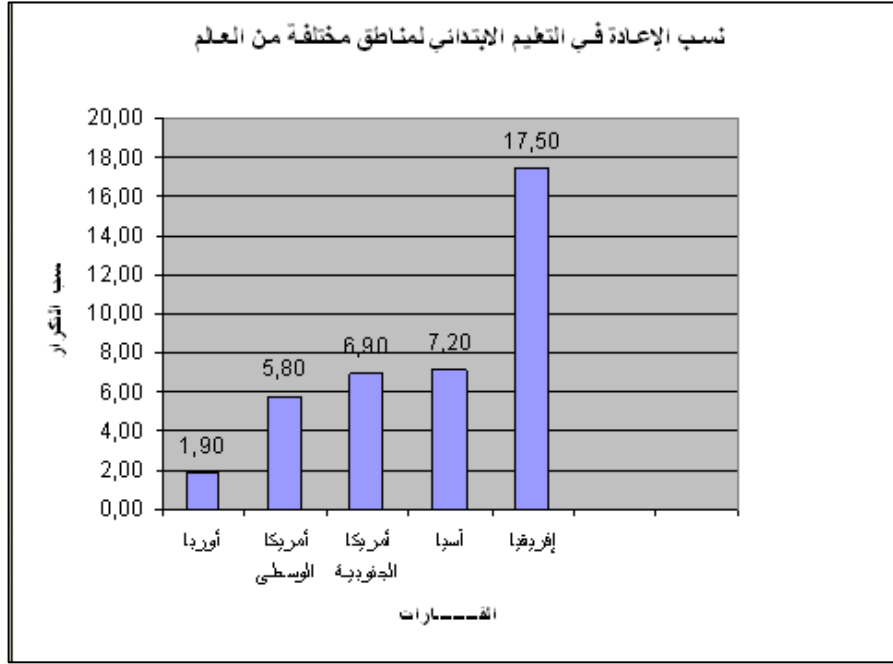
إن حدوديات هذا الأسلوب ترجع بالأساس إلى كون منهجية الإصلاح ليست مبنية على بيانات موضوعية ودقيقة أشرف على جمعها مؤسسات بحثية جامعية متخصصة أو مرصد متخصص في متابعة النظام التربوي وتقويمه. أي إن الإصلاحات التربوية المختلفة بما فيها الحالية لم تسبقها دراسات علمية تقييمية شافية وواسعة يمكنها أن توجه مسار الإصلاح؛ وبالتالي فإنه من غير الممكن ضمان النتائج المترتبة عن مثل هذه الإصلاحات.

ثانيا- المدة:

إن تحضير وتطبيق مختلف الإصلاحات المعلنة في الجدول السابق تطلب مدة زمنية طويلة (فيما بين 10 سنوات و20 سنة بالنسبة إلى كل إصلاح)
إن هذا يذل على ضخامة العمل وبالتالي الجهود والاستثمار المقدم من أجل بناء نظام تربوي يطمح المجتمع إلى أن يكون فعال حتى يضمن التقدم للأجيال القادمة من جهة ومن جهة أخرى على عدم التحكم جيدا في مختلف المتغيرات.

أعمال الملتقى الثالث حول: الرهانات الأساسية لتفعيل الإصلاح التربوي في الجزائر
ولهذا فإن التساؤل حول مدى فعالية هذه الإصلاحات في تحقيق الطموحات المنتظرة منها
جدير بال طرح.

3-2- مدى فعالية الإصلاحات التربوية حسب بعض مؤشرات المخرجات (الإعادة المدرسية)



إن حساب هذه المعدلات كان بناء على الإحصائيات المقدمة من طرف UNESCO^[1]
UNESCO (2003) : Recueil de données mondiales sur l'éducation 2003 statistiques comparées sur l'éducation dans le monde

ماذا عن الإعادة في الجزائر؟

شرفت الجزائر منذ سنة 2003-2004 في تطبيق إصلاح تربوي عميق. ترى هل الانتقال من نظام التعليم الأساسي إلى نظام التعليم الابتدائي والمتوسط وما رافق ذلك من إجراءات تنظيمية كان له أثر إيجابي على نسب الإعادة في التعليم الابتدائي؟

للإجابة على هذا التساؤل سنقدم فيما يلي تحليل بيانات تخص:

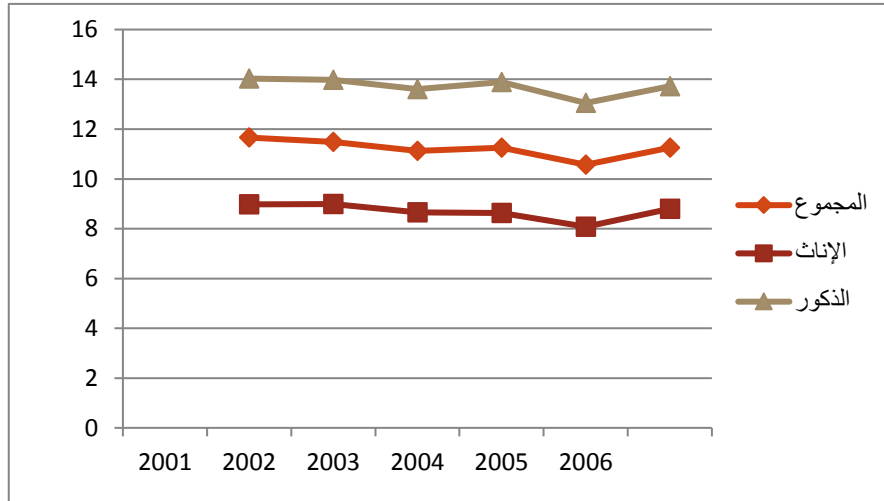
أولاً-نسب الإعادة المسجلة في مرحلة التعليم الابتدائي فيما بين سنة 2000-2001 وسنة 2007-2008.

ثانياً-نسب الإعادة المسجلة قبل وبعد الإصلاح، فيما يخص عينة ممثلة لمدارس مديرية التربية لغرب الجزائر (145 مدرسة). لقد تم إعادة بناء مسارات الدفقات الثمانية الأخيرة من حيث الانتقال والإعادة .

— أ.د. بوسنة محمد: تأملات حول مدى فعالية الإصلاحات التربوية في الجزائر
 ثالثا - تصورات معلمي مديرية التربية لغرب الجزائر (500 معلم) حول الإعادة المدرسية قبل
 وبعد الإصلاح.

أ. نسب الإعادة على المستوى الوطني

السنة	الذكور	الإناث	المجموع
2001	14,03	8,98	11,66
2002	13,98	8,99	11,49
2003	13,61	8,66	11,13
2004	13,89	8,63	11,26
2005	13,05	8,08	10,57
2006	13,72	8,80	11,26



ب-نسب الإعادة على مستوى مدارس مديرية التربية للجزائر -غرب

أعمال الملتقى الثالث حول: الرهانات الأساسية لتفعيل الإصلاح التربوي في الجزائر

الدفعات	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	السنة الخامسة	السنة السادسة
2001-2000	%11.13	%9.61	%9.72	%10.24	12.33	%12.51
2002-2001	% 8.86	%7.81	%8.03	%9.05	9.92	%7.54
2003-2002	%8.30	%7.75	%7.39	%8.39	9.66	%4.26
2004-2003	%8.25	%7.31	%6.27	%10.11	10.15	
2005-2004	%8.98	%8.62	%8.79	%10.30		
2006-2005	%10.13	%8.42	%8.76			
2007-2006	%8.79	%7.57				
2008-2007	%8.82					

نسب الإعادة قبل وبعد الإصلاح في مدارس التعليم الابتدائي لمديرية التربية الجزائرية - غرب -
ج- نسب الإعادة حسب تصورات المعلمين

عدد التلاميذ المعيدين بعد الإصلاح	التكرارات	%
أرتفع	202	40.4
أنخفض	125	25.0
حافظ على نفس الوتيرة	163	32.6

— أ.د. بوسنة محمد: تأملات حول مدى فعالية الإصلاحات التربوية في الجزائر

3-3-النجاح في البكالوريا



1- إن عدد الحاضرين في امتحان البكالوريا في الستينات كان أقل من 10 آلاف مرشح. و الجدير بالذكر هو أن عدد المرشحين عرف ارتفاعات كبيرة في كل العشرية اللاحقة ؛ حيث وصل في بداية السبعينات (1973) إلى أكثر من 17 ألف وفي بداية الثمانينات إلى أكثر من 50 ألف وفي بداية التسعينات إلى أكثر من 250 ألف وفي بداية القرن الحالي إلى أكثر من 300 ألف.

2- إن انخفاض نسب النجاح في البكالوريا في الثمانينات والتسعينات وبداية الألفية الحالية يمكن إرجاعه إلى ما يلي:

أ- إن مجهود الوصاية في الثمانينات كان موجها بالأساس إلى إنجاح عملية تعميم سنوات التعليم الأساسي.

ب- إن التعليم الثانوي عرف عدم استقرار من حيث الهيكلة والبرامج والأهداف وهذا منذ 1984 إلى غاية 2005

(الإصلاح الأخير). ويمكننا أن نقول بأن التعديلات المتعددة التي عرفها هذا التعليم هي ناتجة عن عدم وجود مشروع منسجم وعن ازدواجية الهدف، حيث أصبح حسب إصلاح

أعمال الملتقى الثالث حول: الرهانات الأساسية لتفعيل الإصلاح التربوي في الجزائر
1984 و1992 يرمي إلى التحضير إلى عالم الشغل والتحضير إلى التعليم العالي في شعب
ومسارات متعددة مما أدى في النهاية إلى الفشل في تحقيق الهدفين .

ج- إن سياسة الانتقال في الثمانينات والتسعينات كانت مرنة جدا مما أدى إلى تمكن عدد
معتبر من التلاميذ من الوصول إلى القسم النهائي بمعدلات جد ضعيفة (تدور حول 5 من
20) . إن هذه السياسة التقييمية أترث تأثير إيجابي على نسبة ارتفاع عدد الحاضرين في
التسعينات وبداية الألفية الحالية لكن تأثيرها كان سلبي على نسب النجاح في البكالوريا؛
وذلك لأن هؤلاء التلاميذ لم يكن لديهم التكوين المناسب للوصول إلى هذا المستوى وبالتالي
رسوبهم في الامتحان كان منتظر

(لاحظ بأن نسب النجاح في التسعينات وبداية الألفية الحالية كان يدور فيما بين 20 و 30
%) .

3- إن ارتفاع نسب النجاح في امتحان البكالوريا مع بدية إصلاح التعليم الثانوي 2006)
تجاوزت النسب 50%) لا يعود إلى تأثير عمليات الإصلاح على هذا النوع من المخرجات؛
وإنما يعود إلى الاهتمامات التي بدأت السلطات المركزية توليها لأقسام الامتحانات في
السنوات الأخيرة؛ حيث لاحظنا خلال هذه السنوات تشجيعات وتهديدات ومساعدات غير
مسبوقة للمسؤولين على المؤسسات التربوية من أجل بذل كل الجهود وخلق الشروط
المناسبة لرفع نسب النجاح في الشهادات الوطنية .

- لقد تجسد هذا الاهتمام في منشور أكتوبر 2007 الذي أصدره الأمين العام لوزارة التربية
وهذا بناء على المنشور رقم 526 المؤرخ في 2006 وتعليمه الوزير في الندوة الوطنية لمديري
التربية في 2007 ؛ حيث حدد فيه الإجراءات العملية والتنظيمية والبيداغوجية لمرافقة تلاميذ
أقسام الامتحانات .

- إن خريطة الطريق حسب هذا المنشور والتي يجب على مسؤولي المؤسسات التربوية
إتباعها مع أقسام الامتحانات يمكن اختصارها في ما يلي:

- اختيار أحسن الأساتذة للتدريس في هذه الأقسام .
- الحرص على مداومة الأساتذة في هذه الأقسام .
- متابعة المفتش لأساتذة هذه الأقسام بصورة مستمرة .
- وجوب تطبيق البرنامج في هذه الأقسام بصورة كلية .
- العمل على تنظيم حصص الاستدراك وحصص الدعم .
- العمل على تنظيم المذاكرة المحروسة والمراجعة ضمن أفواج .

— أ.د. بوسنة محمد: تأملات حول مدى فعالية الإصلاحات التربوية في الجزائر
- وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد جهاز لمتابعة وتقييم هذه النشاطات يتكون من:

- اللجنة البيداغوجية الوزارية (يرئسها المفتش العام)
- اللجنة البيداغوجية الولائية (يرئسها مدير التربية)
- اللجنة البيداغوجية للمؤسسة (يرئسها مدير المؤسسة)

وبالإضافة إلى هذه الجهود التنظيمية القوية نشير إلى المساعدات المالية التي أصبح الولاة يقدمونها للمؤسسات التربوية بولايتهم لضمان سير دروس الدعم على ما يرام، وهذا من أجل الرفع من حظوظ نجاح المرشحين .

إن هذه الإجراءات هي في الواقع غير دائمة وأتت على هامش الإصلاح التربوي وليست جزء منه. لكنها هي التي أثرت بصورة كبيرة على رفع نسب النجاح في البكالوريا في السنوات الأخيرة. إنها تعتبر مؤقتة لكونها يمكن أن تتوقف في أي سنة لسبب أو لآخر، مثلا يمكن الولايات أن تكف على رصد مبالغ مالية هامة لضمان سير حصص الدعم لتلاميذ هذه الأقسام بسبب سياسة مالية معينة مما سينعكس سلبا على النتائج فيما بعد.

بناء على التحليل الذي قدمناه أعلاه يمكننا أن نقول بأن التغيرات الهيكلية والتنظيمية التي أتى بها الإصلاح لم يكن لديها تأثير على مؤشرين من أهم مؤشرات مخرجات المنظومة التربوية، مما يجعلنا نذهب إلى تأكيد ضرورة إعادة النظر في منهجية اتخاذ القرارات فيما يخص التحضير وبناء مشاريع الإصلاح من أجل ضمان فعالية أكثر.

إن أغلبية البلدان أصبحت تقوم بإصلاحات لمنظوماتها التربوية بناء على تحقيقات تقوم بها مؤسسات متخصصة. وتعتمد هذه المؤسسات في عملها هذا على مفهوم التقييم الشامل للنظام التربوي؛ أي تقييم النواتج والبدائيات وما يجري فيما بينهما.

إن منهجية التقييم الشامل للنظام التربوي تتبنى عملية تقييم تنطلق من بداية الفعل التعليمي إلى نهايته. وبما أن المنظومة التربوية هي عبارة عن نسق يتكون من مجموعة من العناصر تتفاعل فيما بينها في إطار أداء مهام محددة من أجل تحقيق أهداف معينة؛ فإن موضوع التقييم هنا ينصب على كل مكونات النسق (النظام) التربوي أي مكونات المدخلات والعمليات والمخرجات وطبيعة التفاعل الموجود بين هذه المكونات.

يعتمد هذا النوع من التقييم على تحقيقات واسعة ودقيقة ، كما أنه يتجاوز في تحقيقاته الوسط التربوي ليمس كل من الوسط الاجتماعي والثقافي والأسري والدافعية والاتجاهات وهذا لجمع معطيات تتصل بطبيعة تفاعل عناصر المنظومة التربوية مع المحيط .

الخاتمة:

إن رهان الإصلاح التربوي الفعال هو في قدرته على الاستجابة إلى الطلبات الاجتماعية التالية:

- 1-ضمان الوصول والنجاح في امتحان نهاية المرحلة بالنسبة لـ 95 % من تلاميذ التعليم الابتدائي و85% من تلاميذ التعليم المتوسط و75% من تلاميذ الثانوي .
- 2-ضمان تعليم ذا نوعية عالية مع ضمان تعلم اللغات حتى يتمكن التلاميذ من الوصول إلى المعارف والتمكن من العلوم والتكنولوجيا.
- 3-ضمان احترام المعايير العالمية في كل المستويات التعليمية فيما يخص التعلّمات والمهارات المحددة والتأهيل المقصود .

إن الإصلاحات التربوية التي عرفتها المنظومة التربوية في الجزائر، رغم المكاسب التي حققتها فإن ورشة العمل في هذا المجال ما زالت مفتوحة. ويبدو لنا بأن أهم ما يمكن القيام به في المستقبل هو الاعتماد على مفهوم التقويم الشامل للنظام خاصة وأنه منذ 2003 تم إحداث مؤسسة متخصصة (المرصد الوطني للتربية والتكوين) يمكنها بالتعاون مع المراكز والمخابر البحثية المتخصصة إنجاز مثل هذا العمل. إن البحوث والتحقيقات التي يمكن إنجازها في هذا الإطار ستساعد أصحاب القرار على تحديد مواطن القوة والضعف وبالتالي أين وكيف يمكن القيام بالإصلاح .